Volume (25), No. (3) - (September)/(2025)

الأندلس في عيون ابن بطوطة

الأندلس في عيون ابن بطوطة

امانى ربيع
اللغة العربية
Amaniraba1984@gmail.com

*(Corresponding author) e-mail: Amaniraba1984@gmail.com

Article history:

Submission Date: 20/01/2025

Reviewing Date: 29/03/2025

Revision Date: 04/08/2025

Acceptance Date: 19/07/2025

Publishing Date: 03/09/2025

DOI: 10.6520/fsjgbx79

Keywords:

Keywords: travel literature, Moroccan travels, Andalusia, Ibn Battuta.

Funding:

This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors.

Competing interest:

No competing interests exist.

Cite as:

ربيع، ا. (2025) الأندلس في عيون ابن بطوطة. Jerash for Research and Studies 25 (3). https://doi.org/10.6520/fsjgbx79.

© The authors (2025). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution (CC BY NC), which permits non-commercial re-use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited. For commercial re-use, please contact admin@jpu.edu.jo.

الملخّص

الرحلات

الرحلة أمر طبيعي عند الإنسان، عرفه منذ عرف الحياة على هذا الكوكب.
والرحلة من الارتحال، وتعني الانتقال من مكان إلى مكان آخر، لتحقيق هدف معين
والرحلة قد تكون: برية أو بحرية أو جوية
الرحلة قديمة قدم الإنسان ذاته، الارتحال قديم وأول رحلة للإنسان هو رحلته من الجنة إلى الأرض، وتتابعت رحلات البشر منذ ذلك الحين حتى زمننا الحاضر، والباحث في تاريخ الرحلات القديم يظهر له صوراً واقعية لارتحال القدماء وذلك قبل البعثة، حيث عرفت رحلتا الشتاء والصيف، إلى الشام واليمن. وقد ارتحل الرسل والأنبياء، والشخصيات تاريخية ، مثل رحلة النبي نوح عليه السلام في السفينة، ورحلة سيدنا إبراهيم مع زوجته وطفله.
وقد حث الإسلام على الرحلة؛ للتأمل في المخلوقات، والاتعاظ من آثار الأمم البائدة، وشجع عليها في سبيل تحقيق الفائدة التي تعود على الفرد والجماعة بالخير والنفع.
أغراضها
أهم أغراض الرحلة تتمثل فيما يلي:
دينية: مثل أداء الفرائض الدينية، ولنشر الدعوة، وما زالت الرحلات الدينية حتى عصرنا الحاضر، وهي تتمثل برحلات العمرة والحج
سياسية: تلك التي تكون لأهداف سياسية من مثل تقوية الأواصر بين الدول، أو التفاوض في قضية سياسية، أو لتبادل الرأي.
علمية: تحصيل العلم في مجال ضمن المجالات العلمية الكثيرة، حيث ارتبطت الرحلة في القدم بطلب العلم، كما في علوم الجغرافيا، ولا زالت حتى يومنا الحاضر، حضور المؤتمرات والندوات في مختلف المجالات والعلوم، ومثلها المهرجانات، فضلاً عن العلاقات مع العلماء التي تفضي إلى العلم وتحصيل المعرفة.
سياحية: تكون عن رغبة في السفر نفسه، وزيارة المعالم الأثرية، والأماكن الجميلة، للترفيه عن النفس، وإبعاد الضجر والسأم عن النفس، وتغيير الأجواء لأجواء جديدة، والرغبة بالتمتع بالحياة بما فيها طبيعة وآثار
صحية: كالسفر لتلقي العلاج، أو الاستشفاء، وقد يكون هرباً من وباء منتشر، وقد ينشد الإنسان الراحة لنفسه من ألوان العناء.
اقتصادية: وهذا عن طريق التجارة التي تتطلب الترحال؛ لتحقيق المصالح على مستوى الفرد والجماعة، حيث الترحال كان من عوامل اتساع نطاق التجارة حتى شمل بقاع ممتدة من العالم، ويشمل هذا الغرض رحلات التجار والعمال لأهداف اقتصادية، وقد تكون لفتح أسواق في بلاد أخرى، أو لجلب سلع جديدة.

ويذكر الرحالة دوافع رحلاتهم ومنها السفر عبر المجهول لسبر أغواره، لتدوين ما يشاهدون ويسمعون، وتوفير معارف تاريخية واجتماعية وثقافية وجغرافية وثقافية عظيمة/ جمة.
وبذلك يكون الرحالة قد أسهموا إسهاماً إيجابياً في توفير معلومات ومعرفة لم تكن لتتحقق لولا الرحلة.
وكان العرب القدماء يسعون إلى أكثر من هدف في الرحلة ذاتها فنراهم يحققون فوائد عدة في الوقت ذاته: فيحصلون العلم ويقيمون علاقات إنسانية، ويكتسبون الرزق، ويفرجون همهم ويتجددون.
الرحلة ساعدت على اكتشاف موطن الإنسان، حين جاب أنحاء الكون شرقاً غرباً، حيث استكشاف أماكن وبقع لم تكن معروفة من قبل.

من هنا كانت الرحلة وسيلة لتحصيل المعرفة، واكتساب المهارات والخبرات وتفريج الضيق، تعزيز الصحة والعقل، وتطوير الذات، وإثراء النفس بكل ما هو جديد ومفيد.
لقد جاب الرحالة أنحاء العالم في كل زمان، ودونوا ملامحه الإنسانية والاقتصادية والتاريخية والثقافية والجغرافية، وخدموا بذلك العلم الذي دون وأفاد منه أجيال متعاقبة.
من المهم بمكان بث ثقافة الرحلات، والتشجيع على الارتحال؛ لما لها من فوائد جمة، حيث تعود على الفرد بالمنفعة والخير، والترحال وسيلة لاكتساب المعيشة، فحين يضيق الرزق على الفرد يسافر إلى بلدان أخرى طلباً للرزق.
ويكتسب الإنسان من رحلاته الالتقاء بالعلماء والأدباء والشخصيات التي تحمل أفكاراً جديدة، وثقافات مغايرة، فيكتسب من أخلاقهم وآدابهم والحسنة، وشمائلهم الفاضلة، فتسمو طباعه.
وتزداد ثقة الإنسان بنفسه، ويتسع أفقه، ومعارفه. فضلاً عن تحسين الراحة النفسية لدى الفرد، وانفراج الهم والغم، حيث إن ملازمة المكان الواحد والمحيط نفسه يصاب بالملل والكآبة، وتعتريه الرتابة، فيكون دور الرحلة في تغيير الوجوه، فيذهب همه، وينشرح صدره، فيعود لعمله ومسكنه بهمة ونشاط، ويستأنف حياته بحماس وسعادة.

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هـمّ ، واكتسـابُ معيشـةٍ، وعـلم وآداب وصـحبة مـاجد

وفي هذا المقام سيتم تسليط الضوء على رحلة ابن بطوطة إلى الأندلس 1350 - 1351، ووصفه خط سير رحلته من جبل طارق إلى مدينة رندة. ويصف ابن بطوطة مدينة مالقة؛ فواكهها والفخار، ثم يغادر مالقة إلى العاصمة مدينة غرناطة ويصف ما فيها من زوايا وجبال. ولا شك فهذا الوصف يعد وثيقة تاريخية وجغرافية لشأي مهتم ولأدب الرحلات بعامة.

ABSTRACT

الرحلات

الكوكب هذا على الحياة عرف منذ عرفه، الإنسان عند طبيعي أمر الرحلة.
معين هدف لتحقيق، آخر مكان إلى مكان من الانتقال وتعني، الارتحال من والرحلة
جوية أو بحرية أو برية : تكون قد والرحلة
منذ البشر رحلات وتتابعت، الأرض إلى الجنة من رحلته هو للإنسان رحلة وأول قديم الارتحال، ذاته الإنسان قدم قديمة الرحلة، البعثة قبل وذلك القدماء لارتحال واقعية أصور له يظهر القديم الرحلات تاريخ في والباحث، الحاضر زمننا حتى الحين ذلك نوح النبي رحلة مثل، تاريخية والشخصيات، والأنبياء الرسل ارتحل وقد. واليمن الشام إلى، والصيف الشتاء رحلتا عرفت حيث وطفله زوجته مع إبراهيم سيدنا ورحلة، السفينة في السلام عليه.
تحقيق سبيل في عليها وشجع، البائدة الأمم آثار من والاتعاظ، المخلوقات في للتأمل الرحلة، على الإسلام حث وقد والنفع بالخير والجماعة الفرد على تعود التي الفائدة.
أغراضها
يلي فيما تتمثل الرحلة أغراض أهم:
العمرة برحلات تتمثل وهي، الحاضر عصرنا حتى الدينية الرحلات زالت وما، الدعوة ولنشر، الدينية الفرائض أداء مثل: دينية والحج
لتبادل أو، سياسية قضية في التفاوض أو، الدول بين الأواصر تقوية مثل من سياسية لأهداف تكون التي تلك: سياسية الرأي.
علوم في كما، العلم بطلب القدم في الرحلة ارتبطت حيث، الكثيرة العلمية المجالات ضمن مجال في العلم تحصيل: علمية، المهرجانات ومثلها، والعلوم المجالات مختلف في والندوات المؤتمرات حضور، الحاضر يومنا حتى زالت ولا، الجغرافيا المعرفة وتحصيل العلم إلى تفضي التي العلماء مع العلاقات عن فضلا.
الضجر وإبعاد، النفس عن للترفيه، الجميلة والأماكن، الأثرية المعالم وزيارة، نفسه السفر في رغبة عن تكون: سياحية وآثار طبيعة فيها بما بالحياة بالتمتع والرغبة، جديدة لأجواء الأجواء وتغيير، النفس عن والسأم
ألوان من لنفسه الراحة الإنسان ينشد وقد، منتشر وباء من أهرب يكون وقد، الاستشفاء أو، العلاج لتلقي كالسفر: صحية العناء.
من كان الترحال حيث، والجماعة الفرد مستوى على المصالح لتحقيق الترحال، تتطلب التي التجارة طريق عن وهذا: اقتصادية لأهداف والعمال التجار رحلات الغرض هذا ويشمل. العالم من ممتدة بقاع شمل حتى التجارة نطاق اتساع عوامل جديدة سلع لجلب أو، أخرى بلاد في أسواق لفتح تكون وقد، اقتصادية.

معارف وتوفير، ويسمعون يشاهدون ما لتدوين، أغواره لسبر المجهول السفرعبر ومنها رحلاتهم دوافع الرحالة ويذكر جمة/ عظيمة وثقافية وجغرافية وثقافية واجتماعية تاريخية.
الرحلة لولا لتتحقق تكن لم ومعرفة معلومات توفير في إيجابي إسهام أسهموا قد الرحالة يكون وبذلك.
فيحصلون: ذاته الوقت في عدة فوائد يحققون فنراهم ذاتها الرحلة في هدف من أكثر إلى يسعون القدماء العرب وكان ويتجددون همهم ويفرجون، الرزق ويكتسبون، إنسانية علاقات ويقيمون العلم.
تكن لم وبقع أماكن استكشاف حيث، أغرب أشرة الكون أنحاء جاب حين الإنسان، موطن اكتشاف على ساعدت الرحلة قبل من معروفة.

وتطوير، والعقل الصحة تعزيز، الضيق وتفريج والخبرات المهارات واكتساب، المعرفة لتحصيل وسيلة الرحلة كانت هنا من ومفيد جديد هو ما بكل النفس وإثراء، الذات.
والجغرافية والثقافية والتاريخية والاقتصادية الإنسانية ملامحه ودونوا، زمان كل في العالم أنحاء الرحالة جاب لقد متعاقبة أجيال منه وأفاد دون الذي العلم بذلك وخدموا.
بالمنفعة الفرد على تعود حيث، جمة فوائد من لها لما الارتحال على والتشجيع، الرحلات ثقافة بث بمكان المهم من للرزق أطلب أخرى بلدان إلى يسافر الفرد على الرزق يضيق فحين، المعيشة لاكتساب وسيلة والترحال، والخير فيكتسب، مغايرة وثقافات، جديدة أفكار تحمل التي والشخصيات والأدباء بالعلماء الالتقاء رحلاته من الإنسان ويكتسب طباعه فتسمو، الفاضلة وشمائلهم، والحسنة وآدابهم أخلاقهم من.
والغم الهم وانفراج، الفرد لدى النفسية الراحة تحسين عن فضلا. ومعارفه، أفقه ويتسع، بنفسه الإنسان ثقة وتزداد الوجوه تغيير في الرحلة دور فيكون، الرتابة وتعتريه، والكآبة بالملل يصاب نفسه والمحيط الواحد المكان ملازمة إن حيث وسعادة بحماس حياته ويستأنف، ونشاط بهمة ومسكنه لعمله فيعود، صدره وينشرح، همه فيذهب.

فوائد خمس الأسفار ففي وسافر العلا طلب في الأوطان عن تغرب
مـــاجد وصـحبة وآداب وعـلم معيشة واكتســاب ، هـم تفرج

جبل من رحلته سير خط ووصفه، 1351 - 1350 الأندلس إلى بطوطة ابن رحلة على الضوء تسليط سيتم المقام هذا وفي غرناطة مدينة العاصمة إلى مالقة يغادر ثم، والفخار فواكهها مالقة، مدينة بطوطة ابن ويصف، رندة مدينة إلى طارق بعامة الرحلات ولأدب مهتم لشأي وجغرافية تاريخية وثيقة يعد الوصف فهذا شك ولا. وجبال زوايا من فيها ما ويصف.

الأندلس في عيون ابن بطوطة

د. اماني محمد ربيع

أستاذ مساعد

جامعة جرش – قسم اللغة العربية

Arby55094@gmail.com

الملخص

عرف الإنسان الرحلة منذ عرف الحياة على هذا الكوكب، حيث أملت عليه ضرورات الحياة الانتقال من مكان لآخر ، فكانت الرحلات منذ قديم الزمان لها العديد من الدوافع ، للبحث عن الكلأ والماء واكتشاف الأماكن الأخرى والفرار من الحروب والنزاعات ، فارتبطت بالانسان منذ الأزل ، فكان دائم الترحال ، لا يكاد يستقر في مكان معين .

يوجد العديد من الفوائد للرحلات ، فقد أسهمت إسهامًا إيجابيًا في جعل الانسان يكتشف العالم من حوله ، وأن تنمي في داخله روح المغامرة ، فيسعى إلى الترحل فيغدو في حركة دائبة ، مما ساهم في جعله يتعرف على ثقافات الشعوب الأخرى ، وينهل من ثقافاتها ومعارفها ، ويتأمل العالم من حوله ، وبالتالي فإن للرحلة الكثير من الفوائد ، التي تختلف باختلاف الغاية من الرحلة ، ولكنها تظل صورة صادقة تعكس ملامح العصر الذي عاش فيه الرحالة .

يعد أدب الرحلة جنسا أدبيا تفرد له الكتب والدراسات والمقالات ، بما ينطوي عليه من خصائص تجعله يفترق عن الأجناس الأدبية الأخرى ، فهو يمتاز بطرافته بما تضمن من عجائب الأخبار في التنقل بين الأمصار ، كما يمتاز هذا الجنس الأدبي بفائدته أيضا ، فمن يقرأ كتب الرحالة ، يقف على أحوال الأمم الأخرى في شتى مناحي الحياة .

ومن هنا جاء تسليط الضوء على رحلة ابن بطوطة الذي يعد بحق من أهم الرحالة العرب وأشهرهم ، والذي أفنى نصف عمره سائحا في مشارق الأرض ومغاربها ، فقد غادر موطنه طنجة وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وعاد إليه وهو في الخمسين من عمره ، وبالتالي كانت رحلته " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار " ، درة فريدة في تاريخ أدب الرحلات ، كونها أثرت أدب الرحلات بالكثير من المعلومات سواء في تاريخ البلاد التي زارها وجغرافية تلك البلاد ، وعادات سكانها ولا سيما الغريب منها .

ويأتي هذا البحث في عدة أقسام : مقدمة وتمهيد ومبحثين تتضمن مفهوم الرحلة وأنواعها وأغراضها وفوائدها، ودور الإسلام في الحث على الترحال، ومن ثم تناول وصف ابن بطوطة للأندلس ومدنها التي زار، وختامًا أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وتم التوسل بالمنهج الوصفي التحليلي، وكذلك تمت الإفادة من بعض المناهج التي تخدم البحث وأهدافه.

كلمات مفتاحية: أدب الرحلة، رحلات مغربية، الأندلس، ابن بطوطة.

Ibn Battuta's Journey to Andalusia

Amani Rabie

Assistant Professor – Department of Arabic– Jerash University- Jordan

Email: Arby55094@gmail.com

Abstract

Humankind has known travel since the dawn of life on this planet. The necessities of life dictated that people move from one place to another. Since ancient times, journeys have had many motivations, including searching for pasture and water, exploring other places, and escaping wars and conflicts. These journeys have been associated with humans since time immemorial, as they were constantly on the move, rarely settling in a particular place.

There are several benefits to travel. They have positively contributed to enabling humans to discover the world around them and fostering a spirit of adventure within them. Travelers strive to travel, becoming constantly on the move. This has helped them learn about the cultures of other peoples, draw on their cultures and knowledge, and contemplate the world around them. Therefore, travel has its benefits, which vary depending on the purpose of the journey, but it remains a true reflection of the era in which the traveler lived. Travel literature is a unique literary genre manifested in books, studies, and articles, with characteristics that set it apart from other literary genres. It is distinguished first by its uniqueness, including the astonishing stories of travel between countries. This literary genre is also distinguished by its usefulness, as those who read travelers' books gain insight into the conditions of other nations in various aspects of life. Hence, we highlight the travels of Ibn Battuta, who is truly one of the most important and famous Arab travelers, and who spent half his life traveling the world. He left his hometown of Tangier at the age of twenty-two and returned at the age of fifty. Consequently, his travelogue, "A Gift to the Observers of the Wonders of Cities and the Marvels of Cities," is a special gem in the history of travel literature, enriching travel literature with a wealth of information, both about the history of the countries he visited, the geography of those countries, and the customs of their inhabitants, especially those that were considered foreign. This research is divided into a preface, an introduction, and two sections covering the concept of travel, its types, purposes, and benefits, as well as the role of Islam in encouraging travel. It then discusses Ibn Battuta's description of Andalusia and the cities he visited, and concludes with the main findings. The descriptive and analytical approach was employed, while other minor approaches that served the research and its objectives were also used.

Keywords: travel literature, Moroccan travels, Andalusia, Ibn Battuta.

المقدمة

كانت حياة الإنسان منذ نشأة الخليقة قائمة على الترحال؛ فهو دائب الحركة ، لا يكاد يطيل المقام في مكان معين ، حتى يرحل عن هذا المكان إلى مكان آخر ، وقد اختلفت الدوافع والأسباب لهذا الانتقال ، والعرب كسائر الأمم الأخرى عرفوا الرحلات منذ القدم، وكانت محورًا مهمًا وأساسيًا في حياتهم. وقد سجل العرب عبر العصور مشاهداتهم والأحداث التي صادفتهم في أثناء رحلاتهم، وقد أدى ذلك إلى نشوء ما يعرف بـ (أدب الرحلات).

ويعد أدب الرحلات لونًا من ألوان الأدب تولد من الكم الهائل من الرحلات التي قام بها العرب عبر العصور؛ وفيه يصور الكاتب ما شاهد وسمع. وقد غدت الرحلات – مع مرور الزمن – مصدرًا من مصادر العلم والمعرفة، التي تشمل مناحي الحياة وجوانبها المتنوعة.

وجاء هذا البحث لتسليط الضوء على الرحلة وأدب الرحلة عند العرب؛ مع تخصيص الحديث عن ابن بطوطة ورحلاته ولا سيما رحلته إلى الأندلس.

وتم تقسم هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث؛ الأول: تناول تعريف أدب الرحلات وأسبابها وأهميتها. والمبحث الثاني: تناول الرحالة ابن بطوطة ورحلاته وأسلوب رحلاته، أما الثالث: فقد تم الحديث فيه رحلة عن ابن بطوطة إلى الأندلس، وأهمية رحلته، وكتابه " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "، أما خاتمة البحث فقد تضمن النتائج التي توصلت إليها الباحثة .

ولعل ما حدا بالباحثة إلى دراسة هذا الموضوع هو بيان أهمية أدب الرحلات وقيمته بين الأنواع الأخرى وما يحمله من خصوصية وينماز به من سمات، فضلاً عن إبراز رحلة ابن بطوطة ولا سيما رحلته إلى الأندلس وتفاصيلها وأهميتها.

واستدعت طبيعة البحث الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي؛ وإلى الرجوع للدراسات السابقة التي تطرقت إلى هذا الموضوع، وقد أفدت من هذه الدراسات سعيًا لخدمة هذا البحث، وتم رصدها في قائمة المصادر والمراجع.

تمهيد

أدب الرحلات عند العرب

تعتبر حياة الإنسان _ منذ القدم _ قائمة على التنقل والترحال، حيث كان العرب رحالة في تجوال دائم، وقد عرف العرب – في الجاهلية وما بعدها من عصور – الرحلة؛ إما بغرض البحث عن الكلأ أو التجارة، وامتدت الرحلة إلى ما بعد البعثة، حيث استدعى نشر الإسلام الترحال إلى مشارق الأرض ومغاربها.

عرف العرب السفر ومارسوا الترحال في شبه الجزيرة العربية والبلدان المتاخمة ، وقاموا برحلتي الشتاء والصيف اللتين ورد ذكرهما في القرآن الكريم ، وأبحرت سفنهم في مياه المحيط الهندي حيث اتجهوا شرقا نحو الهند وغربا صوب أفريقيا . حدث

هذا كله قبل مجيء الإسلام الذي وسع بدوره آفاق الرحلة العربية وعدد دوافعها . وبهذا بلغت ذروتها ، وارتفع شأنها وقيمتها خصوصا خلال فترة الفتوحات الإسلامية وما تلاها من عصر الاستقرار والازدهار والمعرفة [1]

استدعت ظروف حياة العرب قديما القيام بالرحلات ، حيث "عرف العرب الرحلة منذ القدم فساحوا في البلاد بهدف التجارة في المقام الأول وقد جاء في القرآن الكريم ذكر لرحلات قريش، كما أن الذين اعتنقوا الإسلام في بداية الدعوة هاجروا إلى الحبشة، الأمر الذي يدل على معرفتهم ذلك البلد ".[2] وبالتالي كانت الرحلة ضرورة حتمية أوجبتها الدعوة الجديدة إلى الإسلام ، فكانت الهجرة إلى الأمصار المجاورة فرارا من بطش المشركين في مكة ولنشر الإسلام في هذه الأمصار .

تعد الرحلة عند العرب القدماء محورًا أساسيًا، وقد يمضي الواحد منهم سنوات طوال وهو يرتحل من مكان لآخر؛ وقد ازدادت الحاجة إلى الارتحال بعد البعثة المحمدية؛ لنشر الدين الإسلامي في أرجاء الأرض، وقد استدعت هذه الرحلات تسجيل ما يراه العربي ويسمعه في كتاباتهم؛ حيث " اهتم العرب بوصف البلاد التي دخلت مع فتوحهم في حوزتهم، فتحدثوا عنها في كتاباتهم التاريخية الأولى، ودعاهم- ما في القرآن الكريم من إشارات إلى الأمم السابقة- أن يطلعوا على ما عند أهل الكتب السماوية قبلهم من أخبارها ، وضمنوا ما عرفوا من ذلك تفاسيرهم لآي الذكر الحكيم" [3].

وبانتشار الإسلام في أطراف الجزيرة العربية . ازدهرت حركة التجارة، حيث لاقت الأخيرة إقبالاً من العرب، بوصفها مصدرًا مهمًا من مصادر الرزق، وقد يحقق الرحالة من رحلاتهم أهدافًا ومنافع سياسية وجغرافية جمة.

وعندما انتصر الإسلام، وتعززت الخلافة وكبرت، ساح المسلمون في أرض الإسلام بغرض التجارة والتعرف على المناطق الجديدة أو بهدف سياسي أحيانًا، كما أن توسع الخلافة، والظروف الجديدة التي نشأت كجباية الخراج مثلاً، جعل من الضروري معرفة البلاد والأقاليم، فعرف العالم الإسلامي الكثير من الرحالين كسلام الترجمان [4]وابن موسى المنجم وسليمان السيرافي [5]وابن وهب القرشي واليعقوبي وابن فضلان والمسعودي وبزرك بن شهريار والمقدسي والإدريسي وأسامة بن منقذ وياقوت الحموي وابن سعيد. [6]

- شغف العرب بذكر الرحلة وترجموا هذا الحب في أدب جمع بين وصف الرحلة ووصف الدابة، فضلاً عن الوقوف على أطلال المحبوبة، فكانت في مقدمة قصائدهم. ومن هنا تشكل ما يعرف بأدب الرحلات؛ حيث دونوا مشاهداتهم وتجاربهم

1 انظر : فهيم . حسين ، أدب الرحلات ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1989 ، ص

2. انظر، أبو أسعد، أحمد، أدب الرحلات وتطورها في الأدب العربي، دار الشرق الجديد، بيروت، 1961، ص

3 . ضيف، شوقي، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، ص 11.(إذا لم يكن رقم الطّبعة موجودًا، نكتب هكذا(د

4 وهو رحالة عربي مسلم ، من مدينة سامراء العراق ، الذي اشتهرت رحلته الى الأصقاع الشمالية من قار
القرنين ، وكانت مدة رحلته ثمانية وعشرون شهرا .

5 وهو رحالة وتاجر من أهالي مدينة سيراف في إيران ، سافر إلى الهند والصين في النصف الأول من القر

6 أبو أسعد، أحمد، أدب الرحلات وتطورها في الأدب العربي، ص 5.

والمواقف التي مرت بهم، حتى انطباعاتهم في كتب، فنالت كتبهم الاهتمام، وأثارت الانتباه، حتى غدت محط الأنظار، فتم تناقلها عبر الأجيال والعصور.

وعرف العرب قديمًا نهضة كبيرة شملت مناحٍ كثيرة؛ ومنها العلوم الجغرافية التي لاقت اهتمامًا كبيرًا من العلماء العرب، فشهدت تطورًا واضحًا في دول المشرق والمغرب على حد سواء، وقد أفضى هذا إلى وجود معاجم ضخمة لعلماء ضمنوا مؤلفاتهم خلاصة رحلاتهم ومعرفتهم بالبلدان والجغرافيا، وقد"أدت هذه المعاجم التي تناولت البلدان إلى تشجيع الرحلات بين البلدان وتسهيلها، كما قامت تلك الرحلات بإخصاب هذه الكتب، فعرف العالم العربي عدة رحالة مشهورين كناصر خسرو وابن جبير وابن بطوطة "[1]، وهذا يكشف عن فضل تلك المؤلفات المتمثل في إبراز أسماء المشهورين من الرحالة حتي عرفناهم في يومنا هذا.

وكانت الفتوحات دافعًا مهمًا في رحلات العرب و"لعل أول رحلة في تاريخ العرب الإسلامي هي رحلة فتوحاتهم الكبرى، فقد خرجوا من جزيرتهم، وطافوا بأركان العالم الوسيط في آسيا وإفريقية ..." [2]

المبحث الأول

تعريف أدب الرحلات:

يعرّف أدب الرحلات هو ذلك الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها لأحد البلدان" [3]؛ وكما يظهر فقوام أدب الرحلات هو دقة النظر، والنباهة، وسعة الاطلاع، وقوة الحافظة، فضلاً عن المصداقية والأمانة، ليتحرى- بهذا كله- تفاصيل رحلاته ويجسدها في كتبه، لتكون مصدر فائدة للناس والأجيال المتعاقبة.

هناك تعريفات عدة للرحلات وأدبها ، فقد عرفها الإمام الغزالي بأن الرحلة هي السفر ، وهي نوع من الحركة والمخالطة مع زيادة في التعب والمشقة ، وأوضح أن الفوائد الباعثة على على السفر لا تخلو من هرب أو طلب ، وأن الإنسان لا

---

[1] . زيادة، نقولا، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1962.

[2] . ضيف، شوقي، الرحلات، ص 48.

[3] . السناري، أبو المظفر، رحلة ابن بطوطة، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 2012، ص 7.

يسافر إلا في غرض ، والغرض هو المحرك [1].كما عرفها بطرس البستاني بأنها انتقال من واحد أو جماعة ، من مكان إلى مكان آخر ، لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة [2].

وحب الرحلة لم يقتصر على فئة الرحالة ، ومن يحبون التجوال واكتشاف البلاد، بل إن الأدباء شغفوا بالرحلة؛ فهي عندهم مصدر من مصادر التعلم وتبادل أشكال الأدب والإفادة مما عند غيرهم من الأدباء، حيث"لم يكن الأدباء أنفسهم أقل من العلماء والتجار حبًا للتجوال وجوبًا للأقطار، بل كانت الرحلة عندهم جزءًا من منهاج الدرس والتأدب لا غنى عنه " [3]؛ وقد كانت الرحلة جزءًا لا يتجزأ من التعليم؛ فهو وسيلة أساسية من وسائل تحصيل المعرفة.

أسباب الرحلات

تختلف أسباب الرحلات بالدافع لها ، فقد يكون سبب الرحلة جغرافيا ، حيث يسعى الرحالة جاهدين إلى اكتشاف العالم من حولهم ، ولعل في رحلات فاسكوا جاما ، وكريستوفر كولمبوس ، وفريناند ماجلان خير دليل على ذلك ، وقد يكون السبب هو ديني بحت ، لنشر الدين كما في الكثير من رحلات المسلمين إلى أطراف الجزيرة العربية وآسيا وأفريقيا ، وكذلك الرحلات التبشيرية لرجال الدين المسيحي في أفريقيا ، وقد يكون السبب علميا ،كما في رحلة الرحالة ماجلان الذي استطاع اكتشاف الممر الذي ما يزال إلى يومنا هذا يعرف باسمه في الطرف الجنوبي من قارة أمريكا الجنوبية وهو " مضيق ماجلان " . وأيضا من الأسباب المهمة للرحلات هو التجارة ، ولعل من الأمثلة على هذا ، في التاريخ الإسلامي رحلة الشتاء والصيف ، الوارد ذكرها في القرآن الكريم .

عرف العرب منذ القدم بشغفهم الكبير بالعلم، والحال ذاته بعد البعثة حيث شجع الإسلام على العلم وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة، وشمل هذا الحث علوم الدين والدنيا، فما كان من العرب – آنذاك – إلا أن جابوا بقاع الأرض في سبيل طلب العلم وجمعه" فجابوا البلاد لدراسة أحوالها، ومعرفة سهلها ووعرها، وجبالها وأوديتها، وطرقها البرية والبحرية، وما تنتجه أرضها من أنواع الغلات، حتى يجبى الخراج بنسبة ذلك، ونظموا البريد وقاسوا الأبعاد بين البلاد "[4].

استدعت الضرورة للرحلة أن يجوب الرحالة أنحاء الأرض، واقتضت الظروف والأحوال التنقل من مكان لآخر، فغدت دواعي الرحلة كثيرة وتعددت أسبابها: نشر الإسلام، فبنزول الوحي على سيد الخلق محمد – صلى الله عليه وسلم – أصبح على عاتقه ومعه الصحابة والتابعين مسؤولية نشر الدين الجديد وترغيب الناس فيه، و"اقتضت أحوال البلاد الإسلامية أن تكثر الرحلات حين اتسعت رقعة الإسلام، وانشعبت سلطة الخلافة بين الملوك والأمراء، حتى استقل بعضهم بحكم ما ولي من البلاد، إذ كانت عناية الخلفاء حينئذ منصرفة إلى توثيق عرى المودة بين أولئك الأمراء، ليقووا على صد غارات من يناوئهم من الأعداء، وقمع ما يحدث من الفتن في داخل البلاد " [5].

[1] الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ، مكتبة العوة الإسلامية . القاهرة . م د ت 245/2 ، 250/2، 60/2
[2] دائرة المعارف ، بطرس البستاني ، مطبعة المعارف ، بيروت ، 1884 ، 564/5 .
[3]. السناري، أبوالمظفر، رحلة ابن بطوطة، دار الكتاب العربي، ص 13.
[4] . ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص 11.
[5] . ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتاب العالمي، بير

ومن هنا وجبت الرحلة وغدت ضرورة ملحة لتبليغ الرسالة ونشرها في أرجاء المعمورة.

طلب العلم في علوم الدين والدنيا

تكون الرحلة في الإسلام لغرض يتصل باستكمال المعرفة أو تنقيحها ، كما يمكن أن تكون لسبب يتصب بالحياة الروحية للرحالة أو تتعلق بشأن من شؤونها ، هي في الحالة الأولى بحث عن عالم أو عن سند في الرواية أو هي طلب الاجازة في العلم ، وبالتالي الحصول من سلطة معرفية عليا على الاعتراف ببلوغ درجة من العلم تجيز لحامل الإجازة الاجتهاد في الدين أو تشهد له بإجادة المعرفة الإسلامية في جانب من جوانبها [1].

يعد طلب العلم من أهم الأسباب الدافعة إلى الرحلات ، فلم يكن العلم متاحا منذ القدم كما هو الآن ، مع تطور وسائل الاتصال ، حيث كان يتوجب على طالب العلم أن يسعى إلى الانتقال من مكان إلى آخر لغاية تحصيل العلم ، فلم تكن الكتاتيب ودور العلم منتشرة ، مما يضطر طالب العلم إلى أن يقصد تلك الأماكن التي عادة ما تكون بعيدة عنه .

وقد كانت الرحلة ذات أهمية بالغة لطلب العلم من مظانه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا عبر الارتحال إلى تلك المظان ، حيث دأب طلاب العلم إلى قصد العلماء والانتفاع بعلمهم ، بقصد تحصيل العلم وجمع المعلومات التي يبحثون عنها ومع تقدم العصور ازدادت أهمية الرحلة في طلب العلم، فغدت مطلبًا أساسيًا لكل عالم. وتجدر الإشارة إلى أنه "وابتداء من القرن الثالث عشر يبدأ طابع الرحلة في طلب العلم يطغى على نمط الرحلة" [2].

الترفيه عن النفس

يميل الإنسان – بطبعه – إلى التخفيف عن نفسه في حال الحزن والضجر، ووسائله إلى ذلك كثيرة وعديدة منها الرحلة؛ حيث التنقل من مكان لآخر يمنح الإنسان راحة وسعادة، وتبدل حاله للأفضل، ولا سيما عندما يتعرف إلى أماكن جديدة وبديعة من صنع الخالق – عز وجل –، فضلاً عن تعرفه على صنوف البشر وتبادل الحديث وأطراف الكلام والتعبير عن المشاعر وكل ما يجول في الخاطر. وهذا يقتضي – بالضرورة – مغادرة البيئة الضيقة إلى بيئة أكثر اتساعًا وأكثر تنوعًا.

الدواعي الجغرافية، وتتمثل في اكتشاف المجهول من مناطق وبلدان، وبالتالي بسط الثقافة في الأماكن الجديدة، وكل هذا تم تدوينه وتناقله جيلاً بعد جيل، وتبادله الرحالة وأفاد منه الناس، وقد تجسد هذا في المعاجم وكتب الجغرافيا والبلدان التي خلفها العرب وراءهم. " ولهذه الأسباب مجتمعة كثرت الرحلات عند العرب وتنوعت بتنوع أسبابها وحوافزها السياسية،

[1] العلوي ، سعيد ، في مرآة الرحلة ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2012 . ص22

[2] . حسين، حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب،دار الأندلس، بيروت، ط2، 1983، ص14.

والدينية، والاقتصادية، ونشأت عند كثيرين منهم محبة المجازفة فيما وراء المعروف " [1] فأسباب ودواعي الرحلات كثيرة وهي دوافع استدعتها حاجة الإنسان في مناحي الحياة كافة.

وبالتالي فقد اختلفت أسباب هذه الرحلات باختلاف الدوافع لها ، ونحن نجد في تناول الباحثين المعاصرين لتصنيف الرحلات العربية أو الرحالين ، ظهر اختلافهم بينا ، ففريق اتبع النهج التاريخي ، فلجأ إلى الفترة الزمنية كحكم ، وغيرهم خلط ما بين المنهجين التاريخي والجغرافي ، وفريق آخر استنطق النصوص ، فأخرج أنواعا لا رابط فيما بينها [2].

أهمية الرحلات

ينجم عن الرحلات الكثير من المنافع ، جعل منها ضرورة، وبمرور العصور غدت ذات أهمية بالغة، حيث رفدت العلم بأنواع شتى من العلوم في مجالات عديدة، مما أفضى إلى نهضة كبيرة في مختلف العلوم والمعارف ، فهي مصدر مهم للوقوف على أنماط من الثقافات المختلفة في شتى بقاع الأرض ، إذ تتجلى من خلال تلك الرحلة الرؤية الواضحة لعادات الناس وتقاليدهم ، وتوسع من مدارك من يقف على هذه العادات والتقاليد فينكب على دراستها وتحليلها ، ومن هنا تأتي أهمية الرحلات كجنس أدبي فريد يجمع ما بين التشويق والفائدة ويمتاز بكثير من الخصائص التي تميزه عن الأجناس الأدبية الأخرى ، وكذلك لا تقتصر أهمية الرحلات على جنسها الأدبي ، بل تتجاوزه إلى أن تعدو علما قائما بذاته ، وعليه فالرحلات تعد مدرسة ذات بعد تثقيفي للإنسان ، فمن خلالها يتم اكتشاف العالم والإنسان سواء بسواء .

تعتبر الاكتشافات الجغرافية هي التي جعلت الرحلات على ذلك القدر من الأهمية ، ولا سيما أن عبارة " الرحلة هي عين الجغرافيا المبصرة " ، وهو عنوان كتاب الأستاذ صلاح الشامي – ما يشير إلى أن الرحلة ليست وسيلة اكتشاف فحسب ، بل هي جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض على حد تعبيره ، وفي هذا الشأن كتب الشامي قائلا : " صحيح أن كل رحلة قد حققت الهدف لحساب الإنسان ونبض الحياة المستمر على الأرض ، وصحيح أن الإنسان الذي كرس اجتهاده لإنجاز الرحلة لم ولن يفرط أبدا في جني ثمرات الرحلة والانتفاع بها ، ولكن الصحيح بعد ذلك كله أن الرحلة قد رسخت كل العوامل والمفاهيم التي بنيت عليها مسألة وحدة البشر على الأرض ، بل لقد فجرت في الإنسان استشعار المصالح المشتركة التي وثقت عرى هذه الوحدة على الأرض ، ومن غير الرحلة ينفرط عقد هذه الوحدة ، وتتضرر حركة الحياة ومصيرها المشترك [3].

" حيث أدت هذه الرحلات إلى إغناء العلوم التاريخية في المشرق والمغرب على السواء، حيث أن النهضة الثقافية الكبيرة التي عرفها المشرق العربي إبان العصور الأموية والعباسية، كان لها امتدادها وثمارها في المغرب العربي الذي عرف نهضة كبيرة في ميدان العلوم الجغرافية " [4]، وهذه النهضة امتدت من المشرق حتى المغرب.

---

[1] . ضيف، شوقي، الرحلات، ص 9.

[2] الموافي . ناصر . الرحلة في الأدب العربي (نهاية القرن الرابع الهجري) كلية الآداب . جامعة القاهرة للجامعات المصرية . القاهرة .

[3] انظر : مؤنس . حسين ، ابن بطوطة ورحلاته : تحقيق ودراسة وتحليل . دار المعارف ، 1980 . ص15

[4] . انظر، حتّي، فيليب وآخرون، تاريخ العرب، دار غندور، بيروت، ط5، 1974، ص 652.

كان لهذا الكم من الكتب والمؤلفات أثر في النفوس والأذهان، مع أن الأدب العربي قد استبعد ما يشبه قصص الترحال وما يدور حول الخرافات، فضلاً عن إهماله الكثير من الأسفار وأخبار الأدباء.

أدلى الأدباء بدلوهم وقل منهم من لم يرحل عن وطنه ولم يتغرب في بعض الأغراض؛ وأثر ذلك ملحوظ في الأدب." ويعتبر أدب الرحلات – إلى جانب قيمته الترفيهية أو الأدبية – مصدرًا مهمًا للدراسات التاريخية المقارنة، وذلك خاصة بالنسبة للعصور الوسطى، كما أن علماء الأدب المقارن اعتبروه قسمًا من أقسام هذا الأدب في تصنيفه الحديث " [1]

وللرحلات صدى أدبيٌّ كبير يسهم في الارتقاء بالذوق الأدبي حيث "القيمة الأدبية في الرحلات فتتجلى فيما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني " [2].

وتكمن أهمية الرحلات في ذلك الموروث العلمي الذي غدا منبعًا للعلم والعلماء والأدباء على اختلاف وتعدد ميولهم – " وتعد كتب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية؛ لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية، والتصوير المباشر، مما يجعل قراءتها ممتعة مسلية " [3]، حيث أدت الرحلات دورًا بارزاً ومهمًا بإخصاب هذه المؤلفات.

ابن بطوطة

~~وقد~~ سجل التاريخ العربي عددًا من الرحالة الذين تركوا بصمة واضحة قوية في أدب الرحلات " وأشهر هؤلاء الرحالة المسلم ابن بطوطة الذي زار المغرب ومصر وبلاد الشام والحجاز والعراق وتركيا والهند والصين وجزر الملبيار والبنغال وباكستان " [4]، حيث قضى عشرات السنوات من عمره في رحلته متنقلاً من بلد لآخر.

استهل ابن بطوطة رحلته بالتوجه إلى بيت الله الحرام للحج " ويفهم من رحلته أنه كان تقيًا ورعًا شديد الإيمان حتى أن أساس رحلته إلى المشرق هو حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وقد عني بالحديث

---

[1] . وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت،

[2] . حسين، حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، ص 8.

[3] . السناري، أبو المظفر، رحلة ابن بطوطة، ص 7.

4 . وهو من أشهر الرحالة العرب واسمه " أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي، مدينة طنجة ببلاد مراكش في السابع عشر من شهر رجب عام 703 هـ / 24 فبراير 1304 م " ، ترعرع تقاليد الإسلام، زنشأ نشأة دينية إسلامية في أسرة أولته عنايتها؛ فنال منها الحظ الوافر من العلم فضلاً عن مبكرة.

وحمل ابن بطوطة من الصفات ما ميزته عما سواه من رحالين فـ"هو مسلم مؤمن أشد الإيمان فقيه عالم يقارن عادات البلاد وأحوالها . عاش في عصر مضطرب نسبيا ، شهد الكثير من الانحلال والاضطراب ، توفي ابن بط للميلاد في نحو الرابعة والسبعين . وضريحه في مسجد صغير لونت قبته وشيئًا من مئذنته باللون الأخضر، وهو ق " وهو ماثل لمن زار طنجة حتى يومنا هذا.

حرب، طلال، رحلة ابن بطوطة، ص 7.

والدراسات الفقهية، واهتم لإجازات الشيوخ له " [1]، وهذا إن دل على أمر فإنه مؤشر قوي على تدينه والتزامه وإلمامه الواسع بالعلوم الشرعية، وقد انعكس بشكل واضح على شخصيته.

رحلات ابن بطوطة

تمتاز رحلة ابن بطوطة عن سواها من الرحلات ، بأن صاحبها شغف بالرحلة في بداية شبابه فـ" أول ما يلفت النظر في هذه الرحلة هو أن صاحبها ما كادت تتفتح حياته على العقد الثالث من عمره حتى خلف والديه في طنجة وراح يطوي البلاد والأقطار في عزيمة شابة .." [2]، حيث إن ابن بطوطة قد استثمر أيام وسنوات شبابه في الرحلة.

قام ابن بطوطة بجولات استغرقت ما يقارب الثلاثين عامًا،" كان الدافع وراء خروجه لرحلاته أولاً أداء فريضة الحج، إضافة إلى رغبته في رؤية أحوال الناس في مختلف الأقطار، وشوقه إلى المعرفة، وولعه بالتنقل والمغامرة والتجربة، ومعرفة أحوال الدنيا من حوله " [3]، وهذا يكشف تعدد أهداف ابن بطوطة من رحلاته التي قام بها في حياته؛ فهو لم يقصد أمرًا محددًا بعينه، إنما سعى لتحقيق أغراض عديدة.

" فالرحلة عن الموطن في نظر الأديب المثقف ليست فقط وسيلة لابتغاء الرزق أو اصطحاب الماجد أو قصد الملوك، ولا هي وسيلة لطلب العلم والأدب المدون والمحفوظ فحسب، بل هي قبل هذا وذاك وسيلة للمشاهدة واكتشاف الجديد والاطلاع على المجهول والوصول إلى البعيد " [4]؛ فحُبُّ المعرفة واكتشاف ما هو جديد حول كل ما يحيط بالعربي آنذاك من أهم دوافع الرحلة.

رحلاته ثلاثة:

يتبين من دراسة كتاب ابن بطوطة " تحفة النظار ... " أن رحلته شملت العديد من البلدان شرقا وغربا ، حيث كان مبتدأ هذه الرحلات من مدينة طنجة وكان الهدف من هذه الرحلة هو أداء فريضة الحج ، مما يشير إلى الدافع الديني لقيام ابن بطوطة برحلته تلك ، إلا أن ابن بطوطة انحرف عن مقصده الديني ، من هذه الرحلة بقيامه برحلته المشهورة ، فكانت تشمل جولاته في العالم العربي وإيران ، ثم جولاته في الشرق الأدنى وأواسط آسيا ، وأخيرا جولاته في بلدان الشرق الأقصى .

يمكن تقسيم رحلة ابن بطوطة إلى مراحل ثلاث وهي :

---

[1] . حرب، طلال، رحلة ابن بطوطة، ص 8.

[2] . حسين، حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، ص 34.

[3] . السناري، أبو المظفر، رحلة ابن بطوطة، ص 19.

[4] . السناري، أبو المظفر، رحلة ابن بطوطة، ص 14.

المرحلة الأولى: وقد خرج فيها من طنجة متجهًا للحج " وخرج من بلده وهو في الثانية والعشرين من عمره سنة 725 هـ/ 1324 م " [1]

فيقول: "كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة، معتمدًا حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – " [2]

المرحلة الثانية: وانطلق من فاس إلى بلاد الأندلس، " فرحل إليها رحلته الثانية، ومر في طريقه بمسقط رأسه طنجة، وطاف ببلدان الأندلس، وزار غرناطة، ثم عاد إلى فاس " [3]

الرحلة الثالثة: ومن فاس " قام برحلته الثالثة (753 – 754 هـ) فزار بلاد السودان الغربي، وتوغل في مجاهل إفريقية المتوسطة، ثم رجع إلى فاس حيث أمضى بقية حياته " [4]

أسلوب الرحلة

ارتكز ابن بطوطة في رحلاته على نظرة دقيقة ، حيث كان يمحص كل ما يراه، وقد رافق هذه النظرة الصدق في الوصف والنقل، حيث تحرى الأمانة في نقل ما يرى ويسمع، ولم يتهاون في هذا الأمر أبدًا، وقد شهد له معاصروه ومن عرفوه بهذا.

وتظهر على ابن بطوطة النزعة الدينية – حتى في حلاته وتنقله من مكان لآخر – ويتمثل هذا في وصفه للأماكن المقدسة التي زارها.

أما بالنسبة لأسلوب عرض الأحداث فإن"لغة السرد القصصي التي يعرض فيها الرحالة أخباره وحكاياته لغة قصصية بسيطة أميل ما تكون إلى لغة المحادثة العادية، أو أقرب ما تكون إلى ما يمكن أن يسمى (باللهجة الشخصية)، وإن اكتنزت بتفاصيل غنية وكثيرة " [5]، وهذا يجعلها أقرب إلى فهم المتلقي، وبالتالي تفضي إلى تفاعله وانسجامه مع الأحداث.

---

[1] . ضيف، شوقي، الرحلات، ص 95.

[2] . الحسيني، معدي، ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الخلود، القاهرة، ص2

[3] . ضيف، شوقي، الرحلات، ص 97.

[4] . السابق، ص97.

[5] . حسين، حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، ص 48.

فيما يتعلق بأسلوب كتابة ، ففيها الكثير من السجع والتنميق، ويجدر بالذكر أن الأديب محمد بن جزي الكلبي كتب ما أملاه عليه ابن بطوطة؛ حيث تأنق في كتابته وتحسينها جهد استطاعته، وفي الوقت ذاته كانت اللغة بعامة سهلة بعيدة عن التعقيد، قريبة من فهم عامة الناس.

المبحث الثالث

رحلة ابن بطوطة إلى الأندلس

شملت رحلة ابن بطوطة العديد من الأقطار في مشارق الأرض ومغاربها ، حيث امتدت رحلته شرقا إلى بلدان الشرق الأقصى فشملت الهند وما جاورها من جزر ، وغربا إلى أفريقية والعالم العربي فزار الحجاز ونجد وساحل الخليج العربي و، كذلك الساحل العماني والعدني واليمن والعراق وبلاد الشام ومصر .

أسهب ابن بطوطة في وصف رحلته ولا سيما الأقطار البعيدة عن العالم العربي ، وهذا له ما يبرره أن تلك الأقطار غير معروفة للعرب كون الوصول إليها يتطلب السفر بما يحتمله من مشاق وأخطار لأشهر طويلة ، وهذا ما يبرر شغفه بسرد الكثير من عجائب تلك البلاد وغرائبها ، وهذا الشغف إذا أمعنا النظر فيه ، قد يكون المراد منه في الظاهر هو تزجية الوقت وتشويق السامعين ، ولكن الحقيقة ، أن ابن بطوطة كان يسعى إلى تخليد اسمه كرحالة لا يشق له غبار ، ركب الأهوال والأخطار في سبيل تحقيق مراده ، مما يجعله ينال الحظوة التي كان يتمناها في بلاط السلطان أبي عنان .

تعد أحاديث ابن بطوطة عن مدن أقطار المغرب العربي ، وكذلك عن مدن الأندلس موجزة للغاية ، بل هي أشد ما في الرحلة إيجازا ، ويمكن أن نعلل ذلك بأن أحوال تلك البلدان ومدنها معروفة لمواطنيه ، ولم يكن في وسعه أن يضيف إلى معلوماتهم ما يبهرهم .

ومن المعروف أن كتابات الأدريسي المفصلة عن المنطقة في مؤلفه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " وكتابات البكري عنها في كتابه (المسالك والممالك) كانت مألوفة لدى جمهرة المتعلمين من مواطنيه ، ولعل أهم إضافاته عن أحوال تلك الأقطار ما يتعلق بجغرافيتها السياسية ، فقد أوضح لنا انعدام الحكم الراسخ فيها وضعف السيطرة الحكومية خارج المدن .

يمكن القول أن ابن بطوطة ، لم يقتصر طموحه على زيارة بلدان المشرق وبعض بلدان المغرب، إنما امتد نظره إلى بلاد الأندلس؛ حيث اتجه إليها بعد عودته إلى المغرب ومكوثه فيها قرابة العام. ومن هنا تتجلى أهمية رحلة ابن بطوطة إلى الأندلس ، في الإطار السياسي ، من خلال إشاراته المتعددة إلى أحوال الحكم فيها وما يعتريه من الاضطراب السياسي ، حيث أن السلطة السياسية كانت قاصرة عن إنفاذ سلطتها بعيدا عن مركز الحكم ، تحديدا خارج المدن ، الأمر الذي أشاع الفوضى والاضطراب في تلك البلاد ، وأثر سلبيا على كثير من النواحي فيها ولا سيما في الجانب الاقتصادي منها ، حيث كان التجار والمسافرون يقصدون الطرق البعيدة عن الصحراء ، خوفا من هجمات البدو الذين كانوا يقطعون القوافل عليهم ويسلبونهم ما يحملون من مال ومتاع .

يشير أيضا ابن بطوطة في رحلته إلى الأندلس ، إلى النزاع المستحكم ما بين العرب والفرنج ، الذين بسطوا سيطرتهم على شبه الجزيرة الأيبيرية ، ولكن الغريب أنه أشار إشارة عابرة إلى هذا النزاع ، ولم يشر إلى ما لاقاه العرب من هذا النزاع من ظلم واستبداد نتيجة هذا النزاع . ولعل هذا يعود إلى خوفه من أن ينال منه خصومة إذا تحدث عن هذا النزاع ، ولو بإشارة عابرة ، ولا سيما بسبب الوجود الكثير من الموالين للفرنج في بلاط السلطان .

يلفت ابن بطوطه النظر في رحلته تلك ، إلى أنه لم يقتصر ما دونه في كتابه عن الاضطراب السياسي الذي تشهده بلاد الأندلس ، بل تناول الطبيعة الجغرافيه وافتتانه بجمالها ، وقد وصف ابن بطوطة رحلته إلى الأندلس، متحدثًا عن خيراتها. ورحلته إلى الأندلس قائمة – في أغلبها – على ذكر الشخصيات التي قابلها وتعرف إليها؛ ففي ذكر سلطان غرناطة يقول: "وكان ملك غرناطة في عهد دخولي إليها السلطان أبا الحجاج يوسف بن السلطان أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر " [1]

ويتبع حديثه عن لقائه ملك غرناطة منتقلاً إلى حديثه عن طائفة من شخصيات غرناطة المرموقة وعلمائها الأجلاء، وشيوخها، حيث يقول: "ولقيت بغرناطة ملة من فضلائها، منهم قاضي الجماعة بها الشريف البليغ أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسيني السبتي، ومنهم فقيهها المدرس الخطيب العالم أبو عبدالله محمد بن إبراهيم البياني، ومنهم قاضيها وعالمها ومقرئها الخطيب أبو سعيد فرج بن القاسم، الشهير بابن لب، ومنهم قاضي الجماعة، نادرة العصر وطرفة الدهر أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم السلمي البلعبعي. قدم عليها من المرية في تلك الأيام، فوقع الاجتماع به في بستان بالفقيه أبي القاسم محمد ابن الفقيه الكاتب الجليل أبي عبدالله بن عاصم، وأقمنا هنالك يومين وليلة " [2]. وفي حديثه المفصل عن تلك الشخصيات في غرناطة إشارة إلى حرصه على الالتقاء بالشخصيات البارزة، والتعرف إليها لتكون جزءً من رحلاته . [3]

حيث يقول:" وكان معنا جملة من وجوه أهل غرناطة، منهم الشاعر المجيد الغريب الشأن أبو جعفر أحمد بن رضوان بن عبدالعظيم الجذامي، ولهذا الفتى أمر عجيب، فإنه نشأ بالبادية، ولم يطلب العلم ولا مارس الطلبة، ثم إنه نبغ بالشعر الجيد الذي يندر وقوعه من كبار البلغاء وصدور الطلبة مثل قوله:

يا من اختار فؤادي منزلاً بابه العين التي ترمقه

فتح الباب سهادي بعدكم فابعثوا طيفكم يغلقه[4]

يظهر هنا ميول ابن بطوطة الأدبية وحبه للشعر، حيث تناول في حديثه الشاعر أبو جعفر الجذامي، ووصفه وعرف به وانتقى من شعره ما طاب له، وهذا يكشف عن ذوق أدبي عالٍ لابن بطوطة.

---

[1] الحسيني ، معدي ، ابن بطوطة ، ص540 .

[2] . معدي، الحسيني، رحلة ابن بطوطة، ص 540.

[3] **********

[4] . السابق، ص 541

وليس هذا فحسب ، فقد التقى ابن بطوطة برجال دين وشيوخ، عندما قال: "ولقيتُ بغرناطة الشيوخ والمتصوفين منهم الفقيه أبا علي عمر بن الشيخ الصالح الولي أبي عبدالله محمد بن المحروق، وأقمتُ أيامًا بزاويته التي بخارج غرناطة، وأكرمني أشد الإكرام " [1]، حيث تناول في حديثه هذا المتصوف الفقيه أبا علي بن المحروق، ووصف لقاءه به وإقامته عنده معبرًا عن شدة كرمه.

ويكمل تفاصيل زيارته مع الفقيه المحروق قائلاً: "وتوجهتُ معه إلى زيارة الزاوية الشهيرة البركة المعروفة برابطة العقاب، والعقاب جبل مطل على خارج غرناطة، وبينهما نحو ثمانية أميال، وهو مجاور لمدينة التيرة الخربة. ولقيت أيضًا ابن أخيه الفقيه أبا الحسن علي بن أحمد بن المحروق بزاويته المنسوبة للجام، بأعلى ربض نجد، من خارج غرناطة، المتصل بجبل السبيكة، وهو شيخ المتسببين من الفقراء " [2]، ويفصل ابن بطوطة هنا الحديث عن الأماكن التي زارها برفقة الفقيه المحروق؛ حيث توجها إلى زاوية عرفت برابطة العقاب وهو جبل مطل على خارج غرناطة، ولقي هناك ابن أخيه أبا الحسن المحروق. وما يلفت النظر في زيارته هذه هو دقة وصفه للأماكن العريقة التي تحمل خصوصية وأهمية دينية وتاريخية.

وينتقل ابن بطوطة للحديث عن فئة جديدة ممن لقيهم في غرناطة فيقول: "وبغرناطة جملة من فقراء العجم، استوطنوها لشبهها ببلادهم، ومنهم الحاج أبو عبدالله السمرقندي، والحاج أحمد التبريزي، والحاج إبراهيم القونوي، والحاج حسين الخراساني والحاجان علي ورشيدي الهنديان، وسواهم " [3]

يكشف وهذا كله عن حب ابن بطوطة للقاء مثل تلك الشخصيات الأدبية والدينية؛ وفي حديثه عن تلك الوجوه من المجتمع مؤشر على تنوع اهتماماته، ووعيه وتقديره لتلك الوجوه، حيث التقى بالشخصيات السياسية والأدبية والدينية وشيوخ الدين، حتى أنه تحدث عن فقراء العجم الذين استوطنوا غرناطة، وفي هذا كله إغناء لرحلاته وجذب للاهتمام.

أهمية رحلة ابن بطوطة

أثر عن ابن بطوطة قوة ذاكرته، ويظهر هذا في التفاصيل التي ضمنها رحلاته؛ عن الأشخاص وعن الأماكن، فضلاً عن أنه جاء بأمور جديدة لم يذكرها غيره من الرحالة، حيث"تعتبر رحلاته من أطرف القصص رغم ما تحتويه من غرائب العادات، فإن تسجيل عادات تلك الأقوام وتقاليدهم أفاد كثيرًا في معرفة عادات تلك الشعوب البعيدة، كما أفاد في معرفة تاريخ تلك البلاد، ومعرفة جغرافيتها من خلال وصف البلاد وجبالها وبحارها " [4]، وفي هذا نبع خصب للعلوم الاجتماعية والتاريخية وعلوم الطبيعية.

---

[1] . السابق، ص 541.

[2] . السابق، ص 541.

[3] . معدي، الحسيني، رحلة ابن بطوطة، ص 541.

[4] . السناري، أبو المظفر، رحلة ابن بطوطة، ص22.

يظهر من رحلات ابن بطوطة – التي قطع فيها بلدانًا كثيرة من المشرق إلى المغرب – حرصه على تسجيل كل ما تراه عيناه وتسمعه أذناه؛ من تفاصيل أهل البلاد وأساليب حياتهم وعاداتهم، وأصولهم وتاريخهم. فضلاً عن وصفه جغرافيا الأماكن التي زارها؛ من طبيعة وبيئة ميزت كل بلد عن غيره من البلدان، وقد سجل في رحلاته مزايا كل بلد اختص بها واشتهر. "إن رحلة ابن بطوطة تحتوي على كثير من الموضوعات التي تهم الجغرافي والمؤرخ والعالم الاجتماعي والأديب " [1]

وهي تكشف عن عزيمته وبصيرته وقوة بديهته، وشغفه بالمعرفة والاطلاع وطموحه العالي الذي لا يعرف حدًا ولا تخاذلاً.

أهمية كتاب ابن بطوطة

تمتاز الكتب التي كانت الرحلة محورًا لها بأهميتها الكبيرة ، فقد ترك العرب آثارًا أغنت العلم بيد أن كتاب ابن بطوطة "تحفة النظار، في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" يحمل خصوصية انفرد به عما سواه من كتب الرحلات؛ فقد لاقى كتاب ابن بطوطة شهرة واسعة على مستوى العالم، وليس على مستوى العرب فحسب. وكتاب ابن بطوطة"أشهر كتب الرحلات على الإطلاق، وبسبب شهرتها العالية في أوروربا أطلقت عليه جمعية كمبردج لقب أمير الرحالة المسلمين. طبعت كاملة لأول مرة في باريس 1853م في أربعة مجلدات مع ترجمة فرنسية بعناية ديفر يمري وسانجنتي"[2]، وهذا إنما يدل أهمية هذا الكتاب والقيمة العالية جعلته محط أنظار العلماء الغرب، فترجموه وأولوه عنايتهم.

أما عن كيفية وصول رحلات ابن بطوطة – عبر الأجيال المتعاقبة – وإلينا اليوم، وحفظها فقد " أملى ابن بطوطة رحلاته على الأديب المعروف محمد بن جزي الكلبي، فانتهى من كتابتها عام 1356 م، وأطلق عليها"تحفة النظار، في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". فأملى ما شاهده في رحلته من الأمصار، وما علق بحافظته من نوادر الأخبار، وما لقيه من ملوك الأقطار وعلمائها الأخيار، وأوليائها الأبرار. وأملى من ذلك ما فيه نزهة الخواطر، وبهجة المسامع والنواظر، من كل غريبة أفاد باجتلائها، وعجيبة أطراف بانتحائها" [3]

تكمن أهمية كتاب"تحفة النظار، في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" في أنه يضم بين دفتيه الكثير من طرائف الأخبار، والحكايات النادرة المشوقة، أغنت – بدورها – الأدب العربي بل وطال هذا الآداب الأخرى. ولم تقتصر مشاهدات ابن بطوطة على الناس بل امتدت لتشمل الحيوانات والنباتات، وقد رفدت هذه المشاهدات علم الجغرافية وعلومًا أخرى عديدة بعلم وافر ومعلومات وافرة أغنتها وشكلت منها صنوفًا من المعرفة غدت فيما بعد مصدرًا للتعليم حتى الوقت الحاضر.

---

[1] . حسين، حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، ص 41.

[2] . معدي، الحسيني، ابن بطوطة، دار الخلود، ص 5.

[3] . ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص5.

خاتمة البحث

– رحلة ابن بطوطه ذات أهمية علمية بما اشتملت عليه من معلومات علمية ومعرفية ، لا نجدها في كثير من رحلات الرحالة القدماء ، وهي تعد بالتالي مرجعا مهما في الكثير من العلوم كالتاريخ والجغرافيا والانثربولوجيا .

–كتاب ابن بطوطة " تحفة النظار " فضلا عن تفرد أهميته في كتب الرحلات ، يعد كتابا أدبيا يعد من عيون التراث ، من حيث لغته ووصفه وما احتواه من الحكايات الشيقة والغريبة .

–إن رحلة ابن بطوطة تجلي لنا صورة الرحلة في الثقافة العربية الإسلامية ، من أنها تنهض على مسؤولية دينية في نشر الدين وصدق الإخبار عما رأى وسمع الرحالة وتعميق النازع الديني لديه ، من خلال التدبر والتفكر بما اطلع عليه .

–اتسمت رحلته إلى بلاد الأندلس بالايجاز والبساطة فلم تستأثر سوى بصفحات قليلة من كتابه .ولعل ما يفسر ذلك أن هذه البلاد معروفة لمواطنيها ولا تحتاج إلى تعريف ، إلا أن ذلك لم يمنع من بيان الوضع السياسي فيها .فتحدث عن الفوضى المستشرية في تلك البلاد بعد استيلاء الفرنج عليها .

–لم يتعرض ابن بطوطة إلى الظلم الذي لحق بالمسلمين من الفرنج ، ولعل خوفه من الموالين لهؤلاء جعله يصمت عن ذلك .

– احتوت رحلة ابن بطوطة على الكثير من الحوادث والأخبار ، التي يرقى بعضا منها إلى مرتبة الخيال والخرافات ، التي تقترب من حكايات السندباد في كتاب ألف ليلة وليلة ، ولا بد من إفراد دراسات لها ، كونها بحاجة إلى بحث متأن وجهد علمي ، لبيان مدى صحتها من عدمه .

–اتسمت رحلة ابن بطوطة بأنها كانت ذا نزعة دينية ، حيث كان الهدف الأول لهذه الرحلة هو القيام بأداء فريضة الحج ، لكنها تحولت إلى أن تكون ذات نزعة تنطوي على حب المغامرة والتجريب ، ولا سيما أن ابن بطوطة لم تكن لرحلته مقاصد علمية ، شأن الرحالة العرب المسلمين الآخرين .

–لقد ساعد الاستقرار السياسي ابن يطوطة على القيام برحلته ، حيث كانت حرية التنقل مكفولة للمسلم وهو ينتقل من مصر إلى آخر .

–انطوت رحلة ابن بطوطة على تضخيم الأنا ، بما أسهب منه مما لاقاه من حفاوة وتبجيل أينما حل وارتحل ، والتي ربما فيها الكثير من المبالغة . ولعل هذا يعود إلى أنه ينتمي إلى أسرة متواضعة ، ليست على قدر كبير من الجاه والثراء .

قائمة المصادر والمراجع

- أبو أسعد، أحمد، الرحلات وتطورها في الأدب العربي، دار الشرق الجديد، بيروت، 1961.
- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتاب العالمي، بيروت، ط1، 1991.
- حتّي، فيليب وآخرون، تاريخ العرب، دار غندور، بيروت، ط5، 1974.
- حرب، طلال، رحلة ابن بطوطة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ط4.
- حسين، حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1983.
- الحسيني، معدي، ابن بطوطة، دار الخلود، القاهرة.(نقص في المعلومات) *******
- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959.
- فهيم . حسين ، أدب الرحلات ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1989 ، ص89 .
- زيادة، نقولا، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1962.
- السناري، أبو المظفر، رحلة ابن بطوطة، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 2012.
- ضيف، شوقي، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط 4.
- الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مكتبة العوة الإسلامية . القاهرة . م د ت 245/2 ، 250/2، 260/2 .

-مؤنس، حسين، ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، القاهرة، 1980.
- الموافي . ناصر . الرحلة في الأدب العربي (نهاية القرن الرابع الهجري)كلية الآداب . جامعة القاهرة . ط1 ، 1995 ، دار النشر للجامعات المصرية . القاهرة .
- وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1984. (د.ط)
- دائرة المعارف ، بطرس البستاني ، مطبعة المعارف ، بيروت ، 1884 ، 564/5 .